

المنظومة التربوية التعليمية عند الشيخ البشير الإبراهيمي

The educational system of Al-Bashir Al-Ibrahimi

د/ وسيلة فراج
أستاذة التعليم العالي
- المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

الملخص:

اهتم محمد البشير الإبراهيمي بالمنظومة التربوية والنهوض بها حيث سعى إلى إصلاح المجتمع فبدأ بإصلاح التعليم وأكد على أنه لا بد من أصل واحد في التعليم ومنهج واحد في التربية فإن اختلفت الأصول والمناهج فلا فائدة لجنيتها ، حيث أولى عناية كبيرة بالتربية وأكد على أسبقيتها عن التعليم فلا يمكن أن نعلم جيل قبل أن نربيّه ونزرع فيه الأخلاق والمبادئ الإسلامية ، وبين أن الاهتمام بالمعلم هو سر نجاحه مع التلاميذ كما أكد على ضرورة الاهتمام باللغة العربية و محاربة السياسة الفرنسية الرامية إلى فرنسة المجتمع ومنع التعليم العربي فقام بنشر التعليم العربي وإنشاء مدارس حرة وإلغاء قوانين الفرنسية القمعية .

الكلمات المفتاحية: التعليم — المنظومة ، — الإبراهيمي — الجمعية

Abstract: :

El Bachir El Ibrahimi was interested in the educational system and its development. He intended by this to reform the society, so he started by improving education, and he emphasized that one basis and one methodology are needed in

teaching. this is because if there is a variety in the principles and methodologies, no benefit will be gained. for him, education is prior to teaching as a generation cannot be taught before being well educated on the basis of good islamic morals and behaviours.

furthermore, he said that the teacher is the secret behind the success of the learners. he also stressed on the necessity of valuing the Arabic language and fighting against the French colonialist policy trying to make the Algerian society a French one. Thus, he encouraged the teaching of Arabic by establishing private schools for that purpose.

Key words : Education - the system, - Ibrahimi - the association

مقدمة :

أدركت جمعية العلماء أنّ أي عملية إصلاح في المجتمع لا بد لها من إصلاح التعليم وأن أي إهمال في جانبه سيؤدي إلى إفشال عملية الإصلاح و يقول ابن باديس رحمه الله: لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله... ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم فالتعليم هو الذي يصنع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره. وعلى هذا الأساس عقد العزم هو و الإبراهيمي على إصلاح التعليم في الجزائر والعودة به إلى ينابيعه الأولى.¹

1- واقع التعليم في الجزائر بعد تأسيس الجمعية وموقف الاستعمار منه:

لقد أدت جهود الجمعية إلى تكوين جيل مسلح بالعلم والإيمان وعموما كان التعليم متنوعا

يتمثل في مايلي :

- النوع الأول وهو دروس منظمة تلقى في الجوامع الهامة بالجزائر ويحضرها عدد كبير من الطلاب على المستوى الثانوي على طريقة جوامع الأزهر الزيتونة و القرويين .
 - النوع الثاني دروس الوعظ والإرشاد وتوجه الى كافة الناس بين المغرب و العشاء وأيام الجمعة أسبوعيا ويمارس أهل الجمعية هذا النوع في العطل الصيفية و في شهر رمضان.
 - النوع الثالث كانت الجمعية حصة في نظرتها إلى الأمة الجزائرية التي قسمتها إلى ثلاث فئات صغار تضمهم مدارسها الابتدائية وكبار يخفون الى مساجدها وشباب يرتدون أماكن اللهو والجون لذا حرصت الجمعية على إنشاء نوادي لغرس القيم والمبادئ والأخلاق والوطنية² .
- لكن الاستعمار الفرنسي كان يضيق على التعليم في الجزائر، فكلما اشتدت حركة التعليم وامتدت، ظهر للحكومة فيها رأي فسدت لشلها قانوناً أو قراراً. وسكتت عن تنفيذه إلى حين؛ كما كانت متساهمة مع الجمعية لأوّل ظهورها، في إلقاء دروس التذكير في المساجد؛ فلما استفحل ذلك ورأت أنه مضرّ بسياستها الاستعمارية وأخذت تحارب الإسلام جزائري جغرافي محصور في حدود أربعة، خال من روحانية الإسلام وفضائله، و لما رأت ذلك أصدرت القرارات بمنع أعضاء الجمعية من إلقاء الدروس الدينية في المساجد، وقصر إلقاء الدروس في المساجد على الموظفين الرسميين، فمنعت الإبراهيمي من إلقاء دروس التفسير بالجامع الأعظم من تلمسان، ببرقية من الوالي العام إلى عامل وهران، وكان ذلك ثم منعت الأستاذ العقبي من إلقاء دروسه بمسجد العاصمة بقرار (ميشال) المعروف³.
- و كانت الإدارة الفرنسية تبدي نوعاً من التسامح إزاء وجود الكتاتيب القرآنية لأن التعليم فيها لا يؤثر على المحيط وعندما شرع العلماء في تعليم اللغة العربية لأنها أساس فهم الدين وتأسست جمعية العلماء المسلمين لتقود عملية الإصلاح ولتطور التعليم قامت السلطات الاستعمارية باتخاذ إجراءات وقوانين تعسفية لإجهاض الحركة الإصلاحية وتهميش لغة القرآن باعتبارها وسيلة أساسية لفهم الدين وإحداث نهضة فكرية التي تسبق كل ثورة قامت بغلق المدارس وطردها المعلمين وتغريمهم وحبسهم لذا طالبت الجمعية⁴ بـ:

إلغاء جميع الإجراءات القمعية وإصدار نص يضمن حرية تعليم اللغة العربية في المدارس ويكون ذلك
بــــــما يأتي :

يحق لجمعية العلماء ولسائر الجمعيات الدينية إنشاء مدارس ودون طلب رخصة من الإدارة يكفي فقط أن
يقدم طلب يتضمن اسم المدرسة وعنوانها.

يتضمن النص المطلوب إصدار ضمانات تكفل للمدارس الحرة حماية من تعسف الإدارة وللمعلمين
الأحرار عدم الملاحقة والمتابعات القضائية الظالمة .

لا يكون للإدارة الاستعمارية حق في اختيار المعلمين ولا الكتاب المدرسي ولا البرامج التعليمية
وتخضع الجمعية وسائر الجمعيات الثقافية الى رقابة صحية وتقبل التفتيش الرسمي الذي يقوم به موظفو
التعليم العمومي ⁵ .

وكان للإبراهيمي جهود تعليمية من قبل تأسيس الجمعية فعندما عاد من الخارج وجد جهود ابن
باديس أثمرت في قسنطينة فقام هو بعقد ندوات علمية و دروس دينية ومحاضرات ولما رأى مدى استعداد
المواطنين للنهضة العلمية أخذ يعد نواة من التلاميذ لبث أفكار عربية إسلامية وذلك بإنشاء مدرسة
صغيرة لتدريب الشبان على الخطابة والكتابة في الصحف وقيادة الجماهير في الوقت الذي كان يتظاهر
فيه بالتجارة هربا من ملاحقة الشرطة ⁶ .

2 - مطالب الجمعية في قضية التعليم العربي:

طالبت الجمعية بما يلي :

-إلغاء كل القرارات المتعلقة بالتعليم إلغاء صريحا سواء إدارية أو وزارية .

- نسخ جميع القرارات بقانون صريح يقرر حرية التعليم العربي ويلاحظ في وضع ذلك القانون المسائل
التالية:

جمعية العلماء والجمعيات العلمية الأخرى أن تكون لها الحق في إنشاء مدارس .

ليس على تلك الجمعيات إلا إعلام الإدارة باسم المدرسة ومحلها وأسماء المعلمين فيها.

عدم الالتجاء إلى تعطيل المدارس العربية للأسباب السياسية.

لا تتدخل الإدارة في اختيار المعلمين ولا تتدخل في اختيار و وضع برامج تعليمية ولا في اختيار الكتب
التعليمية

على الجمعية العلماء والجمعيات العلمية الأخرى أن تخضع للمراقبة الصحية ومراقبة التفتيش الرسمي.⁷ التعليم المسجدي : تلتزم فيه كتب معينة من تفسير حديث فقه أصول وأخلاق وعلوم لسانية من قواعد ولغة وأدب وعلوم خادمة للدين كالتاريخ وحساب وهذا التعليم ضروري للأمة الإسلامية في حياتها الدينية لأنها تفتقر إلى من يفتيها في النوازل ويبين أحكام الحلال والحرام.⁸

3- دور الإبراهيمي في نشر وتدعيم التعليم العربي الحر :

يرى الإبراهيمي أن تعليم اللغة العربية مفتاح الدين وجزء منه ولهذه اللغة على الأمة الجزائرية وجوب تعلمها ، فالمحافظة عليها محافظة على الجنسية والدين معا ، وجمعية العلماء التي تعد أشرف أعمالها تعليم العربية قد أقامت خمسة عشر عاما تطالب في غير ملل بحرية التعليم العربي الذي هو أساس التعليم الديني. وطالبت الجمعية باسم الأمة الجزائرية المسلمة عموما تطالب الحكومة الجزائرية الاستعمارية بإلغاء جميع القرارات القديمة المتعلقة بالتعليم العربي واستبدال قانون موحد عادل بها لا يكون من طرف واحد كالقرارات القديمة بل يكون للأمة رأي فيه، وجمعية العلماء اشترك في وضعه ويكون واضح الدلالة بين المقاصد صريح المعاني ، وترى الجمعية أن التعليم العربي الذي تسعى لحريته ورقيته هو جزء من التعليم العام الذي هو وسيلة التثقيف وظلت الحكومة الجزائرية الاستعمارية تعاكس وتضع العراقيل في طريق التثقيف وهذه المعاكسات حرب على الإسلام لان التعليم العربي إسلامي ، وهي حرب على الإسلام و العربية، ورأي الجمعية في التعليم العربي أنه أصبح ضرورة من ضرورات الأمة.⁹

وأظهر الإبراهيمي مدى أهمية التعليم العربي الحريث يقول أن هذه الأمة هي صاحبة الحق في التعليم وأن تكون هي القائمة به والقيمة عليه بمعنى أن يكون المعلم له من أبنائها المتضلعين في لغتهم ، ولا يكون حظها في التعليم الثانوي أو كس من حظ الانكليزية والاسبانية فالأمة تريد من التعليم العربي الحكومي الذي يحقق للعربية صفة الرسمية أن يكون تعليما كاملا في جميع مراحل يبنى على أساس صحيح في المرحلة الابتدائية وصحة الأساس تكون في المعلم الكفاء و الكتاب الوافي و البرنامج الكافي ثم ينتقل صحيحا إلى الدرجتين الثانوية والعليا والأمة تريد تعليما عربيا يساير العصر وقوته ونظامه لا تعليما يحمل جراثيم الفناء وتحمله نذر الموت والأمة تريد تعليما عربيا عليه طابعها وفيه أثر يديها¹⁰ .

و قال أنالموجود من التعليم العربي في المدارس الحكومية لا قيمة لها والموجود منها من المدارس الحرة مضغوط عليه إلى درجة الإزهاق مطوق بالقرارات الإدارية الجائرة وقد احتجت الأمة الجزائرية على القرارات وأثبتتأنها متمسكة بلغتها التي هي ترجمان دينها وآدابها وماضيها، ومما يرضيها أن تكون مسألة

التعليم في طليعة الإصلاحات وتعطى الحرية في تعليم أبنائها لغة دينهم وآدابها خصوصاً وأنها في هذه الحالة لا تكلف الحكومة مالا فهي مستعدة بمالها ومعلميها¹¹.

بالنسبة لتدعيمه للتعليم العربي كما أشرنا سابقا فقد طالب الإبراهيمي بحرية التعليم العربي الذي هو أساس التعليم الديني كما أنه عارض القوانين الموضوعية لتصفية اللغة العربية وطالب بتيسير إعطاء رخص للمعلمين لمزاولة التعليم التي تخدم التعليم العربي الذي يعد إحدى ضرورات الأمة الجزائرية، واستنكار قرار شومان الذي يعتبر اللغة العربية لغة اجنبية وطالب بإلغائه وحرية الصحافة العربية والنوادي الإسلامية، وفصل الدين عن الحكومة وتسوية الأوقاف والمساجد وحرية تعيين الائمة من الأمة وليس الحكومة¹².

4- تصور الإبراهيمي لمنظومة تربوية أصيلة وعصرية :

- أهمية التربية قبل التعليم عند الإبراهيمي :

كان الشيخ الإبراهيمي يؤمن إيمانا لا حدود له بالعلم ويرى فيه السبيل الوحيد لنهضة الأمة وانتشالها من وهنة التخلف وإعدادها للمعركة الفاصلة مع المحتل الغاصب ولكن العلم وحده ليس كافي في رأيه لخلق رجال يعتد بهم ويعتمد عليهم في حمل الرسالة والنهوض بالوطن إذا لم يكن هذا العلم أو التعليم يستند إلى تربية خلقية متينة فهو مثل سلفه ابن باديس يجعل التربية في المرتلة الأولى والتعليم في المرتلة الثانية وفي هذا المعنى كتب يقول مخاطبا المعلمين حاثا لهم على التمسك بالأخلاق الفاضلة القوية المتينة لأنهم صانعوا الأجيال وأنهم لا ينجحون في مهمتهم التربوية والتعليمية إلا إذا كانت لهم أخلاق قوية سليمة من كل عيب ولو كان حضهم من الكفاءة والكفاية العلمية ليس كما ينبغي¹³.

والتربية القوية و التعليم السليم ينبغي أن يكونا باللغة الأم، اللغة الوطنية التي هي اللغة العربية لأنها وعاء ثقافتنا وحافظة تراثنا ومعارفنا وذلك في المراحل الأولى من التعليم على الأقل حتى يشب الطفل على محبة قومه وتاريخ شعبه ووطنه ثم لا بأس بعد ذلك من تعلم اللغات الحية الأجنبية ويشرح الإبراهيمي مضار التعليم باللغة الأجنبية وحدها وعدم تعلم الأطفال لغتهم القومية الوطنية التي تعصمهم من الزلل والانحرافات الفكرية و القومية فيقول :والتعليم الأجنبي على تفاهة ما يقدم لنا منه في الكيف وقلة في الكم وعلى اضطرارنا إليهم إقبالنا عليه يسبقه جهل وتقترف به آفات وتعقبه مفسد وهو على ذلك كله

يفتح عينا ليعمي عينا ومن بلغ إلى غايته منا أصبح بالطبيعة متنكرا لماضيه ودمه وقومه لأن ذلك التعليم وجده فارغا فملاؤه بما يشاء هو لا بما نشاء نحن¹⁴.

وقد كان الإبراهيمي يرى أن تدريس التربية الدينية في المدارس يكون إجباريا مثل تدريسهم العلوم والآداب والحساب فحاجة الأمة إلى رجال أقوياء في دينهم وأقوياء في أخلاقهم وسلوكهم العام أحوج منها إلى علماء ضعفاء الإيمان والأخلاق فهؤلاء الأقوياء في دينهم وأخلاقهم يمكن الاعتماد عليهم في الشدائد وفي المحافظة على التراث القومي للبلاد أما الآخرون فإلهم يسهل التأثير عليهم وإغرائهم على التنكر لشعبهم وبلادهم وقوميتهم من طرف رجال الاحتلال أو غيرهم¹⁵.

وبالجملة فالتعليم في نظر الإبراهيمي لا يمكن فصله عن التربية القومية والتربية الدينية والتربية الأخلاقية وهكذا تتجه أراء الإبراهيمي في التكوين إلى الجانب الأخلاقي و الروحي فيهم قبل الجانب الفكري المحض وهذا ما يفسر لنا كثرة توجيهاته إلى المعلمين الأحرار بأن يولوا عنايتهم الفائقة في التعليم إلى تقويم الأخلاق وإصلاح المعوج منها في التلاميذ يقول في افتتاحية البصائر لسنة 1849 م عدد 94 " احرصوا أن تكون التربية قبل التعليم واجعلوا الحقيقة التالية نصب أعينكم وحاديكم في تربية هذا الجيل الصغير وهاديكم في تكوينه وهي أن هذا الجيل الذي أنتم منه لم يؤت في خيسته في الحياة من نقص في العلم وإنما خاب أكثر من خاب من نقص في الأخلاق فمنها كانت الخيبة ومنها كان الإخفاق¹⁶ .

و ينصح الإبراهيمي المعلم ويقول عن التلاميذ أبناء الأمة تديرون نفوسهم على الدين وحقائقه وألسنتهم على اللسان العربي وتسكبون في آذانهم نغمات العربية ودقائقه وفي أذهانهم سر العربية وتديرون أرواحهم بالفضيلة و الخلق المتين وتروضونهم على الاستعداد للحياة الشريفة وتقودهم بزمam التربية إلى مواقع العبر من تاريخها ومواطن القدوة الصالحة من سلفهم ومنابت العز والمجد من مآثر أجدادهم الأولين و احرصوا كل الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم.... احرصوا على ان يكون ما تلقونه لتلاميذكم من الأقوال منطبقا على ما يرونه و يشهدونه منكم من الأعمال فإن الناشئ الصغير مرهف الحس¹⁷.

ذلك أن العلم الخالي من التربية ضرره أكثر من نفعه وما أصيب المسلمون في عزيمتهم إلا يوم فارقت التربية الصالحة العلم وكم شقي أصحاب العلم المجرد بالعلم وأشقوا أمتهم والسعادة غاية لا يسلك إليها طريق العلم وحده من غير أن تصاحبه تربية وأن الجمع بين التربية و التعليم هو وظيفة النبوة¹⁸

يتبين مما سبق أن الإبراهيمي قد أولى عناية كبيرة لجانب التربية ويؤكد على أسبقيتها عن التعليم فلا يمكن تصور مربى لا يتحلى بالأخلاق .

– توجيهاته للطلبة العلم :

يقول الإبراهيمي لطلبة العلم لا تعتمدوا على حلق الدرس وحدها واعتمدوا معها على حلق المذاكرة ،إن المذاكرة لقاح العلم إنكم إن تفعلوا تفتح لكم أبواب من العلم وتلح لكم آفاق واسعة من الفهم لا تقتنعوا بالكتاب المقرر واقروا غيره من الكتب السهلة المبسطة في ذلك العلم تستحكم الملكة و يتسع الإدراك وسينتهي الإصلاح الذي تقوم به إدارات جامعتنا إلى اختيار كتب سهلة ممتعة في كل علم تفرض عليكم قراءتها ومطالعتها ثم كتب أخرى في المعارف العامة كالتاريخ والأدب والحكمة والأخلاق و التربية فوطنوا أنفسكم على ذلك من الآن وروضوها على اختيار النافع المفيد من الكتب وفروا الوقت كله للدرس النافع و المطالعة المثمرة .¹⁹

وقال أيضا لا تعتمدوا على حفظ المتون وحدها بل إحفظوا كل ما يقوي مادتكم اللغوية وينمي ثروتكم الفكرية ويغذي ملكتكم البيانية و القرآن.. القرآن تعاهدوا بالحفظ وأحيوه بالتلاوة وربوا ألسنتكم على الاستشهاد به في اللغة و القواعد وعلى الاستشهاد في الدين والأخلاق وعلى الاستظهار به الجدل وعلى الاعتماد عليه في الاعتبار بسنن الله في الكون يقول يا أبنائي إن الزمن قد وضعكم وضعا صيركم جديرين بان تطلبوا العلم لوجه الله ولوجه العلم لا للوظائف ولا للشهادات²⁰ .

وتحدث عن أهمية اللغة العربية وأنها لغة القرآن بها يتلى والصلوات بها تبدأ وتختتم دونت بها علوم الإسلام وآدابه وفلسفته و روحانياته²¹ .

وقال أنه لا ينبغي أن يسافر أبناء المسلمين للتعلم في أوروبا إلا بعد أن يتعلموا في بلادهم تعليما قوميا وطينا متينا حتى لا ينخدعوا ببريق المدينة الغربية عندما يذهبون إلى أوروبا وبالتالي يتنكرون لتاريخهم وقوميتهم وثقافتهم وقد قال في هذا المعنى الكثير وخاصة ما جاء في مقال نشره في مجلة المسلمون بمصر سنة 1954 م وهو هناك في المشرق تحت عنوان داء المسلمين ودواؤهم²² .

5- المنظومة التربوية و التعليمية عند الإبراهيمي :

– البرنامج التعليمي :

المشروع التعليمي لينجح لابد من الانطلاق من العقيدة الدينية أي الإصلاح الديني ويقول الإبراهيمي بدأنا هذه الحركات بجانب حركة التعليم وأطلقنا عليها اسمها الحقيقي وهو الإصلاح الديني وهو اسم يهيج أصحاب البدع و الضلالات من المسلمين بالدرجة الأولى ويهيج الاستعمار الخارجي في الدرجة الثانية فكان من تفاوت التهيج فسحة سرنا فيها خطوات إلى النجاح وفد نهج ابن باديس نفس المنهج في توجهاته الإصلاحية²³.

وضع الإبراهيمي برنامج حافلا للتعليم العربي بجميع أنواعه وضمنه أصول من علم التربية ، قسم مواد التعليم العربي الابتدائي في مدارس الجمعية على ست سنوات متوالية هي المراحل الأولى في عمر التلميذ الناشئ ويحصل حين تجاوزها بنجاح على شهادة تسمى شهادة التعليم العربي الابتدائي يكون قد حصل القراءة والكتابة عارف للدين الإسلامي علما وعملا ولمبادئ الدين الإسلامي كالسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين ويحفظ في هذه المراحل أجزاء من القرآن حفظا متقنا وأحكام التجويد وقد يبلغ الدرجات العليا إن لم ينقطع عن التعليم فإن انقطع عن الدراسة استطاع بما تعلمه من العربية أن يطالع ويقرأ فيصبح عارفا بدينه ولغته وتاريخه فيصبح عضوا حقيقيا في أمته صالحا نافعا عاملا وهذه هي الغاية من التربية الصالحة ومرحلة التعليم الابتدائي مهمة ،على أساسها يبني المستقبل فإن كان هذا التعليم صالحا كانوا صالحين لأمتهم ولأنفسهم وإن كان ناقصا مختلا زائفا بنيت حياة الجيل كله على الفساد وساءت آثاره على الأمة²⁴. ويقول أ ن البناء لا يعلو قويا صحيحا متماسك الأجزاء متعاضيا على الهزات ولازلازل إلا إذا كان الأساس قويا متينا .. وإن هذا الجيل الذي بين أيديهم هو حجرة الأساس في بناء هذه الأمة من جديد فليثبتوا الأساس ليثبتوا الأساس²⁵.

ومما سبق يظهر أن الإبراهيمي يؤكد على أنه لابد من أصل واحد في التعليم ومنهج واحد في التربية فان اختلفت الأصول والمناهج في أمة واحدة كانت كلها فاسدة .

– الاهتمام بالمادة العلمية :

اهتم الإبراهيمي بالمادة العلمية التي تتضمنها الكتب والمصنفات ويسعى إلى تحصيلها طلاب العلم، كما يسعى إلى بثها المعلمون، ففي نصيحة إلى طلاب العلم يبين الإبراهيمي صفات ومضمون المادة العلمية التي يجب أن يتلقاها طالب العلم والمتمثلة في: أصالة المادة العلمية ، بالاعتماد على ما صح وثبت بالدليل والابتعاد عن القشور ومما لا فائدة من ورائه.

و ضرورة الاعتماد على اللغة العربية كأساس في التربية والتعليم، ولا ينافي تعلم اللغات الأخرى. مع مسايرة العصر في التعليم من حيث النظام والقوة والفعالية و حفظ القرآن الكريم لأنه أساس العلوم كلها والاهتمام بالسنة وهدى السلف . و اعتماد الكتب السهلة المبسطة. إلى جانب تنوع المادة العلمية من المعارف العامة كالتاريخ والأدب والحكمة والأخلاق والتربية و الرياضيات والطبيعات²⁶.

مع توجيه التعليم وفق منهج عقدي صحيح خالي من البدع و الخرافات والحث على طلب العلم والعمل به و الإقبال على الحياة²⁷.

الاهتمام بالمعلم :

اهتم الشيخ بالمعلم وأولاه عناية خاصة على المستوى النظري والعملي كيف لا وهو الوسيلة الضرورية لنقل العلم إلى عقل الطالب وقلبه، وهو الرائد الأصيل والموجه الحكيم في تربية الأجيال وصناعة الرجال وتخريج القادة، والدفاع عن الهوية. ففي لقاء جمع الشيخ بمعلمي جمعية العلماء المسلمين يخاطبهم قائلاً: «أي أبنائي المعلمين، إنكم في زمن كراسي المعلمين فيه أجدى على الأمم من عروش الملوك، وأعود عليها بالخير والمنفعة، وكراسي المعلمين فيه أمتع جانباً وأعز قبلاً من عروش الملوك، فكم عصفت العواصف الفكرية بالعروش، ولكنها لم تعصف يوماً بكراسي المعلم»²⁸.

وينبه الإبراهيمي إلى المسؤولية الخطيرة التي يتحملها المعلمون، فهم مسؤولون عن النمو الفكري والتهذيب النفسي للناشئة وهم مسؤولون من جهة أخرى عما يصيب أبناء الأمة من زيغ فكري وعقائدي، فموقعهم في المجتمع خطير لا يجوز فيه التقصير أو الخطأ، ويشبه وظيفة المعلم بوظيفة الطبيب بل إن مسؤولية المعلم أشد وأقوى، لأن الخطأ الذي قد يقع فيه الطبيب لا يتعدى فرداً أو فردين، أما الخطأ الذي يقع فيه المعلم فإن أثره يتعدى جيلاً بأكمله.. ويقول أيضاً: «إن التقصير في الواجب يعد جريمة من جميع الناس، ولكننا في حقنا يضاعف مرتين، فيعد جريمتين، لأن المقصر في غيرنا لا يعدم جابراً أو عاذراً، فقد يغطي تقصيره عمل قومه، أو حكومته.. أما نحن فحالنا حال اليتيم الضائع الجائع، إذا لم يسع بنفسه مات، فإذا قصرنا في العمل لأنفسنا ولما ينفع أمتنا ويرفعنا فمن ذا يعمل لها؟»²⁹

– شروط نجاح المعلم :

وللمعلم المتحقق بالعلم عند الإبراهيمي شروط وعلامات تؤهله للتدريس وأداء مسؤوليته على أكمل

وجه، من هذه الشروط ما يتعلق بذاته، ومنها ما يتعلق بطلبته وتلاميذه وهي :

- التحلي بالتقوى وإخلاص العمل لله .

- الإيمان العميق بشرف العلم والتعلم والتعليم.

- العمل بما علمحتي يكون قوله مطابقا لفعله، فإن كان مخالفا له فليس بأهل لأن يؤخذ منه ولا أن يقتدى به في علم. لأن المعلم كما يقول الإبراهيمي لا يستطيع أن يربي تلاميذه على الفضائل إلا إذا كان هو فاضلا، ولا يستطيع إصلاحهم إلا إذا كان صالحا، فهم يأخذون عنه بالقدوة أكثر مما يأخذون عنه بالتلقين³⁰.

- ضرورة الاستزادة من العلمياكثر القراءة والمطالعة والبحث والتقصي والاستفادة من الجديد فمن النصائح التي كان يوجهها للطلبة والمعلمين .. وإن التعليم لأحدى طرق العلم للمعلم قبل المتعلم، إذا عرف كيف يصرف مواهبه، وكيف يستزيد وكيف يستفيد، وكيف ينفذ من قضية إلى قضية، وكيف يخرج من باب إلى باب، فاعرفوا كيف تدخلون من باب التعليم إلى العلم، ومن مدخل القراءة إلى الفهم، وتوسعوا في المطالعة يتسع الإطلاع ، فان كان حال العلماء متدني وهم الذين إن أسأؤوا فهم الذين أسأؤوا إفهامه وإن أخطأوا في تعلمه أخطأوا في تعليمه³¹ .
- الصبر على المكاره، والثبات في الشدائد والأزمات³² .

نجاحه مع تلاميذه:

- الشفقة على المتعلمين والتحبب إليهم، ورعاية الأطفال وسياستهم بالرفق والإحسان، باللين والتواضع، ومساعدتهم على قضاء حوائجهم إن كان ذلك باستطاعته، فهم بالنسبة إليه كالأولاد مع آبائهم. حيث يقول: فواجب المربي الخاذق المخلص إذا أراد أن يصل إلى نفوسهم من أقرب طريق، وأن يصلح نزعاتهم بأيسر كلفة، وأن يحملهم على طاعته وامتنال أمره بأسهل وسيلة، هو أن يتحبب إليهم ويقابلهم بوجه متهلل، ويبادلهم التحية بأحسن منها، ويسائلهم عن أحوالهم باهتمام، ويضاحكهم ويحادثهم بلطف وبشاشة، ويبسط لهم الآمال ويظهر لهم العطف، ما يحملهم على محبته³³ .

-دراسة ميول الأطفال ونفسياتهم ويكون المعلم بينهم كأخ كبير لهم يفيض عليهم عطفه، ويوزع عليهم بشاشته، ويزرع بينهم نصائحه و اتخاذ أسلوب الترغيب في سياسة الأطفال ورعايتهم بدل أسلوب التهيب ، لأن الأول إيجابي وأثره باق، والثاني سلبي وأثره موقوت، لأنه يعتمد على الخوف ويربي الجبن خاصة في المراحل الأولى للطفولة، يقول الإبراهيمي: ليحذر المعلمون الكرام من سلوك تلك الطريقة العنيفة التي كانت شائعة بين معلمي القرآن، وهي أخذ الأطفال بالقسوة والتهيب في حفظ القرآن، فإن تلك الطريقة هي التي أفست الجيل وغرست فيه رذائل مهلكة.³⁴

فمن أشنع ما تتسم به الحكومات الاستعمارية التسلط على رجال العلمورجال القضاء وتصريفهم في أغراضها المنافية لشرف العلم و شرف القضاء و العلم رمز الإنسانية و الكمال و القضاء رمز العدل و المساواة فإذا سخرها الاستعمار في أغراضه واتخذ من رجالهما أدوات لتنفيذها فذلك هو الفساد في الأرض لذلك تجدنا لا نثق ببعض علماء المشرقيات الذين يتخذ منهم الاستعمار مستشارين في وزارات الخارجية فيجعل من العلم معيناعلى الظلم³⁵ .

6 - جهود الإبراهيمي التربوية :

من بين الجهود التي قام بها الإبراهيمي في حقل التربية والتعليم :

- توجيه النقد الى الأساليب التربوية السائدة في الزوايا القائمة على التلقين و التقليد وتقتل في طلابها روح المبادرة والإبداع وقد وجه أيضا نقدا إلى مناهج الزيتونة التربوية وطرق أساتذتها في التدريس³⁶ .
- ذم علم الكلام وذم التعصب والتقليد في مسائل الفقه وأصوله والدعوة إلى التجديد و الاجتهاد³⁷ .
- الدعوة إلى تفسير القرآن وفهمه فهما صحيحا مع حسن التدبر والإتباع بعد القراءة والترتيل وذلك في بالتعمق في أسرار البيان العربي والتفقه في السنة النبوية لمقاصد القرآن الشارحة لأغراضه والإطلاع الواسع على فهوم علماء القرون الثلاثة الفاضلة مع التأمل في سنن الله في الكائنات ودراسة ما تنتجه العلوم الاختيارية من كشف لتلك السنن وعجائبها³⁸ .

إنشاء التعليم الثانوي: لما تزايد عدد خريجي المدارس الابتدائية للعلماء رأى الإبراهيمي ضرورة الانتقال إلى المرحلة الثانوية في مدارس العلماء فدعا إلى إنشاء هذا المعهد ودعا بعض علماء واشتروا أرضا في قسنطينة لتكون مقرا لهذا المعهد وقد سموه بمعهد ابن باديس تخليدا لذكراه و قد ارتفع مستوى التعليم للطلاب واعترفت جامعات الشرق بهم وأصبح خريجوه يلتحقون بجامعة الأزهر وجامعة بغداد والكويت ودمشق³⁹.

إشرافه على البعثات العلمية الجزائرية في الشرق: سبق وصول الإبراهيمي إلى القاهرة وصول بعثة الجمعية ضمت 25 طالب وطالبة كانت البعثات تقتصر على مصر فقط وتمكن الإبراهيمي من الحصول على منح أخرى وكان يتفقد الطلاب من بلد لآخر ونجح 90 بالمئة من الطلاب في دراستهم الجامعية والثانوية وانخرط هؤلاء في صفوف الثورة بفكرهم وثقافتهم⁴⁰.

- إنشاء المدارس:

أكد الإبراهيمي أن أكبر دعامة تقوم بها النهضة الجزائرية هي تأسيس المدارس الحرة بمال الأمة حيث أنشأ الإبراهيمي العديد من المدارس ووضع للتعليم برنامجاً قاراً، وعيّنت له لجنة ومفتشون، وحددت ساعات التعليم والعطل، ووضع للمعلمين بالمدارس درجات منها مشروع مدرسة تلمسان التي دشنت في سبتمبر 1937م تعتبر من أهم قلاع التربية والتعليم في الجزائر بما كان لها من أثر في تربية النشء وإحياء اللغة العربية ونشر الثقافة والتصدي لحملات التغريب والتذويب⁴¹ كانت تسمى بمدرسة الحديث تعبيرا عن مبادئ الحركة التي تدعوا إليها وهي الرجوع إلى السلفية النقية التي تستمد أحكامها من الكتاب والسنة وهدى السلف⁴².

- الدعوة للعناية بالرياضة البدنية وإدخالها في البرامج الدراسية⁴³.

- وضع تعليمات تتعلق بمهنة التفتيش ذلك من خلال :

- تقديم تقرير تفصيلي عن كل مدرسة على حدى من ملاحظات عن المعلمين من حيث طريقة وتحصيل التلاميذ وعن حال التلاميذ من حيث النظافة وصحة المكان.

- التعجيل بتقديم الملاحظات الهامة إلى مكتب لجنة التعليم بالجزائر مع إرفاقها بنظرية المفتش.

-إحصاء سلبيات وإيجابيات المعلم وهو يلقي الدرس كتابة ثم إرسال ذلك في ظرف مختوم الى مكتب لجنة التعليم ليتولى بدوره تسجيل الأغلاط وإرسالها من جديد إلى المعلم بطريقة كتابية لتكون أثبت في نفس المعلم حتى يتجنبها مستقبلا

-الوقوف على تطبيق البرنامج والكتب و الحصص و اللائحة الداخلية ودفاتر تسجيل التلاميذ و المنادات اليومية وأسباب تخلف التلاميذ والإطلاع على كراسات الدروس اليومية والمداولة و أوراق أخبار أولياء التلاميذ عن أسباب التخلف.

- إعداد تقرير عام عن المدارس يقدم إلى لجنة التعليم في أول السنة الدراسية المقبلة .

- الاجتماع بمجلس المعلمين والإطلاع على أحوالهم و السماع إلى مقترحاتهم ومطالبهم وتقديم ملاحظات فنية عامة لهم في صورة محادثة أو مسامرة .

- الاجتماع بالمجلس الإداري للجمعية المحلية وإطلاعه على صورة مجملة عن سير التعليم وتقديم المدرسة.

- تقديم جدول بعدد التلاميذ ذكورا وإناثا كل على حده و بعدد المعلمين وبيان الأجرة التي يتقاضونها شهريا

- تقديم كشف بعد إتمام التفتيش لجميع مصاريف الجولة لتعذر إرسالها إليكم الآن بعدم انضباطها ⁴⁴ .

- و اقترح الإبراهيمي تأسيس مؤتمر سنوي يعقد بالعاصمة العلمية مدينة قسنطينة يحضره كل القائمين بالتعليم من أعضائها العاملين فتبادل الآراء وتلاقح الأفكار وتستفيض المباحث عن أصول التربية والتعليم وسيكون من نتائج المؤتمر توحيد التعليم .

-عكاظ علمي سنوي تقيمه في مدينة الجزائر على إثر اجتماعها العام وتمتد أيامه إلى ما فوق الأسبوع ويلقي كل أعضائها العاملين محاضرات ليتمرنوا على الخطابة في مواضيع الدعوة و الإرشاد ⁴⁵ .

هذه بعض الأسس التربوية التي بنى عليها هذا المربي المفكر إسهاماته ومواقفه في الحقل التربوي وقد أدركت سلطات الاحتلال وهي تحرص على خنق كل مساهمة حية تسعى لتقريب الأمة من أهدافها حرصت على إبعاد هذه الجهود فضاعفت مكائدها لمحاصرتها وتضييق مجال الحركة في وجهها وإقامة الموانع بينها وبين من تتوجه إليهم بالرعاية والتكوين من الناشئة الجزائرية وسخرت لأجل مناهضة المدرسة الجزائرية إلى جانب الإجراءات التعسفية المدرسة الاستعمارية ورببتها المدرسة الطرقية بكل ما لديها من إمكانيات مادية هائلة ونظم إدارية متفوقة وسلطة محلية جائرة إلى أن أصحاب الجهود الصابرة

المحتسبة استطاعوا أن يصمدوا في وجه هذه التحديات واستمر الصراع على أشده بين نضالا قهم وبين سلطات الاحتلال فكانت فرنسا تهجم وجمعية العلماء تبني وهي تجهل والجمعية تعلم وهي تنوم والجمعية تنهض⁴⁶.

7- أهداف التربية والتعليم عند الابراهيمى :

يقول الإمام الشيخ محمد بشير الإبراهيمى في عيون البصائر: " غاية الغايات من التربية - هي توحيد النشء الجديد في أفكاره ومشاربه، وضبط نوازعه المضطربة، وتصحيح نظراته إلى الحياة، ونقله من ذلك المضطرب الفكري الضيق الذي وضعه فيه مجتمعه - إلى مضطرب أوسع منه دائرة، وأرحب أفقا، وأصح أساسا، فإذا تم ذلك وانتهى إلى مداه طمعنا أن نخرج لنا المدرسة جيلا متلائم الأذواق، متجدد المشارب، مضبوط الترعات، ينظر إلى الحياة - كما هي - نظرة واحدة، ويسعى في طلبها بإرادة متحدة، ويعمل لمصلحة الدين والوطن بقوة واحدة، في اتجاه واحد."

" - وقال أيضا غاية التعليم هي تفيقه في دينه ولغته، وتعريفه بنفسه لمعرفة تاريخه، تلك الأصول التي جهلها آباؤه فشقوا بجهلها، وأصبحوا غرباء في العالم، مقطوعين عنه، لم يعرفوا أنفسهم فلم يعرفهم أحد⁴⁷ .

والسعي إلى تصحيح العقيدة واستنارة الفكر وطهارة النفس وكمال الخلق واستقامة العمل⁴⁸ .

وتكوين جيل يتربى في المدرسة الجزائرية وينهل من معانيها عميق الإيمان بقيم أمته شديد الارتباط بانتمائها الحضاري قوي الإرادة في الذود عن حقوقها مقداما في المنافحة عن اختيارها محبا للحياة الكريمة⁴⁹ .

ويتم تحقيق الأهداف بمايلي: توحيد منهاج التربية والتعليم و لا يتم ذلك إلا بتوحيد الإدارة وتوحيد الإشراف العام لأن توحيد الغايات لا يتم إلا بتوحيد الوسائل⁵⁰ .

نستنتج أن الإبراهيمى سلك مسلك ابن باديس حيث كان مشروعه التربوي تأصيل روحي وتجديد فكري مركزا على تصحيح العقيدة وتركيز النفس وتنوير الفكر وهذا المنهج الذي اهتم بالعقيدة قامت الدعوة الإسلامية على أساسه ودعى إليه قبل ذلك ابن تيمية ومن سار على نهجه ، ونجاح المجتمع

الإسلامي لا يكون إلا بالرجوع الى قواعد الدين والأخذ بأحكامه وتطهير القلوب وتهذيب الأخلاق وهذا هدف كل مصلح مسلم تصحيح الاعتقاد وإزالة ما طرأ عليه من أخطاء في فهم الدين لذا لابد من الاستفادة من منهج الإبراهيمي في النهوض بالتعليم والتربية حالياً . وهذا لا يعنيان لا نستفيد من كل جديد في كل الميادين وليس التربية فقط بل لابد من الاندماج في التطورات الحالية ومواكبة العصر .

*** الهوامش :

- ¹ محمد البشير الابراهيمي، عيون البصائر ، دار المعارف، ص17-18.
- ² نبيل أحمد بلاسي، لإتجاه العربي الاسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 ص 70-71.
- ³ أحمد طالب الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، ص 223 ج3.
- ⁴ العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999م ، ج1 ، ص 50 .
- ⁵ نفس المرجع ، ص 51 .
- ⁶ محمد البشير الابراهيمي ، عيون البصائر، دار المعارف، القاهرة، 1963 م ، ص123.
- ⁷ أحمد طالب الابراهيمي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 144 .
- ⁸ نفس المصدر ج2 ص 170
- ⁹ محمد الصالح رمضان ، الذكرى الأدبية لزيارة الفرقة المصرية دار الحديث بتلمسان برئاسة نابغة المسرح العربي الاستاذ يوسف وهي، ط1 تلمسان، 1950 ط2 2003 م، الجزائر ص207 .
- ¹⁰ الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص305 .
- ¹¹ أحمد طالب الابراهيمي ، آثار الابراهيمي ، دار الغرب الاسلامي بيروت مؤسسة الخدمات الطباعة، 1997م ، ج2 ص135 .
- ¹² الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص125.
- ¹³ محمد الصالح رمضان ، المرجع السابق ، ص64 ومحمد بن سميعة ، ملامح من إسهامات الشيخ الإبراهيمي في المشروع النهضوي بالجزائر، مجلة الموافقات، العدد4، المعهد الوطني لأصول الدين، 1995 ، الجزائر ص516 وما بعدها
- ¹⁴ الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2 ص 290 ومحمد الصالح رمضان المرجع السابق، ص65.
- ¹⁵ محمد صالح رمضان المرجع السابق ، ص66.
- ¹⁶ نفس المرجع، ص68 ومحمد بن سميعة ، المرجع السابق، ص516. 515. 517 و عبد المجيد بن عدة، الخطاب النهضوي في الجزائر 1925-1945 أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف ناصر الدين سعيدوني، 2004-2005 ، ص 360.

- ¹⁷ إبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 282 .
- ¹⁸ محمد بن سميئة ، المرجع السابق ، ص 516.
- ¹⁹ الابراهيمى ، عيون البصائر، ص 209 و محمد صالح رمضان ، المرجع السابق ص 207 .
- ²⁰ الابراهيمى ، عيون البصائر ص ، 210 و محمد صالح رمضان ، المرجع السابق ، ص 213 و محمد عيسى ، المرجعية الفقهية في تراث الشيخ الابراهيمى ، مجلة الموافقات ، العدد 4 ، 1995م ، ص 645.
- ²¹ محمد صالح رمضان المرجع السابق ، ص 213 .
- ²² الابراهيمى ، عيون البصائر، ص 67.
- ²³ محمد بن سميئة ، المرجع السابق ، ص 500 و محمد دراجي، الأصول الفكرية للتجديد الاسلامي عند محمد البشير الابراهيمى، مجلة الموافقات ، العدد 4 ، المعهد الوطني لأصول الدين ، 1995 م ، الجزائر ، ص 536-537.
- ²⁴ أحمد طالب الابراهيمى، الآثار ، ج 2 ، ص 109.
- ²⁵ نفس المصدر ص 110-111.
- ²⁶ الابراهيمى ، عيون البصائر ، ص 210 .
- ²⁷ محمد بن سميئة ، المرجع السابق ، ص 492 .
- ²⁸ أحمد طالب الإبراهيمي ، الآثار ، ج 2 ، ص 112 و محمد بن سميئة، المرجع السابق، ص 519 وما بعدها .
- ²⁹ أحمد طالب الإبراهيمي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص ؟ و محمد بن سميئة ، المرجع السابق ، ص 519 وما بعدها.
- ³⁰ أحمد طالب الابراهيمى ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 115 و الإبراهيمي ، عيون البصائر، ص 288 و محمد عيسى ، المرجعية الفقهية في تراث الشيخ محمد البشير الابراهيمى ص 641 .
- ³¹ أحمد طالب الإبراهيمي ، الآثار ، ج 3 ، ص 268 و محمد بن سميئة ، المرجع السابق ، ص 520.
- ³² محمد بن عيسى ، المرجع السابق، ص 642.
- ³³ أحمد طالب الإبراهيمي ، المصدر السابق ، ج 2 ص 112.
- ³⁴ نفس المصدر ، ج 2 ، ص 113 وما بعدها.
- ³⁵ إبراهيمي ، عيون بصائر ، ص 238 .
- ³⁶ نفس المصدر ص 538.
- ³⁷ نفس المصدر ص 540.
- ³⁸ نفس المصدر ص 548 و 551.
- ³⁹ إبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 124.
- ⁴⁰ نفس المصدر ، ص 134 و محمد بن سميئة ، المرجع السابق، ص 517.
- ⁴¹ محمد بن سميئة ، المرجع السابق ، ص 498 .
- ⁴² عبد المجيد بن عدة ا ، لخطاب النهضة في الجزائر 1925-1945 ص 142 .
- ⁴³ نفس المرجع ، ص 345 .
- ⁴⁴ محمد الحسن فضلاء ، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر 2 ، القطاع الجزائري شركة دار الامة ، الجزائر، ط 1، 1999 م ، ص 22-23

⁴⁵ محمد دراجي، المرجع السابق، ص 537-538.

⁴⁶ محمد بن سمينه، المرجع السابق، ص 521.

⁴⁷ أحمد طالب الابراهيمي المصدر السابق، ج2 ص 111 و الابراهيمي، عيون البصائر، ص 295 و 296.

⁴⁸ محمد بن سمينه، المرجع السابق، ص 497.

⁴⁹ نفس المرجع ص 518.

⁵⁰ الابراهيمي، عيون البصائر ص 296.

قائمة المصادر والمراجع :

أولا المصادر :

- 1- محمد البشير الابراهيمي، عيون البصائر، دار المعارف.
- 2- محمد البشير الابراهيمي، عيون البصائر، دار المعارف، القاهرة، 1963 م.
- 3- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي. ج1.
- 4- أحمد طالب الابراهيمي، آثار الابراهيمي، دار الغرب الاسلامي بيروت مؤسسة الخدمات الطباعة، 1997م، ج2.

ثانيا المراجع :

- 1- نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي الاسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990.
- 2- العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999م، ج1.
- 3- محمد الصالح رمضان، الذكرى الأدبية لزيارة الفرقة المصرية دار الحديث بتلمسان برئاسة نابغة المسرح العربي الأستاذ يوسف وهي، ط1 تلمسان، 1950 ط2 2003 م، الجزائر.
- 4 - عبد المجيد بن عدة، الخطاب النهضوي في الجزائر 1925-1945 أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف ناصر الدين سعيدوني، 2004-2005.
- 5- محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر 2، القطاع الجزائري شركة دار الامة، الجزائر، ط1، 1999 م.

المجلات :

- 1- محمد بن سمينة ، ملامح من إسهامات الشيخ إبراهيم في المشروع النهضوي بالجزائر، مجلة الموافقات، العدد4، المعهد الوطني لأصول الدين، 1995 ، الجزائر
- 2- محمد عيسى ، المرجعية الفقهية في تراث الشيخ الابراهيمى ، مجلة الموافقات ، العدد 4 ، 1995م .
- 3- محمد دراجي، الأصول الفكرية للتجديد الاسلامي عند محمد البشير الابراهيمى، مجلة الموافقات ، العدد4 ، المعهد الوطني لأصول الدين، 1995، م ، الجزائر.